

نظريات تعلم اللغات الأجنبية:

1/ نظرية التطابق (Matching Theory): ويرى أصحاب هذه النظرية "أن اكتساب اللغة الأولى، وتعلم اللغة الأجنبية عمليتان متطابقتان في الأساس، ولذلك فليس هناك أي تأثير للغة الأولى على تعلم اللغة الأجنبية"؛ أي أنه لا يوجد فرق بين اكتساب الطفل للغة الأولى، وتعلمه للغة الأجنبية.

وإنّ هذا الرأي تنقصه الكثير من الدقة العلمية، لأنّه يساوي بين عمليتي الاكتساب والتعلم اللتان تختلفان كل الاختلاف، ويتجاهل العوامل النفسية، وتأثير السن؛ فتعلم الطفل يختلف عن تعلم الراشد، وقد أكد سكوفيل (scofille) على تأثير عامل السن في تعلم اللغة؛ حيث يقول: "إنّ أفضل وقت للتعلم يكون في السنوات الأولى من عمر الطفل، وبعد مضي اثنتي عشرة الأولى من عمره سيجد أي إنسان صعوبات في قابلية تعلم أو اكتساب لغة جديدة"، كما أنّها تتجاهل الظروف الاجتماعية المحيطة بالمتعلم.

في حين تثبت دراسات أخرى أنّ هناك تأثيراً للغة الأولى على اللغة الأجنبية، وإنّ هذا التأثير يظهر بوضوح في الأخطاء التي يرتكبها المتعلم، والتي تتراوح بين 25% و50%، وهذا ما تنبأ به التحليل اللغوي المقارن بين اللغة الأولى واللغة الأجنبية؛ فكما يقول الجاحظ فإن: "كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها وتعرض عليها"؛ وبالتالي فإنّ التأثير بين اللغتين موجود ولا يمكن إنكاره، ومن هنا يظهر أنّ الموقفان متناقضان؛ الأول ينفي أي تأثير للغة الأولى على اللغة الثانية، وهذا الموقف فيه كثير من التخبّط والخلط بسبب خطأ في تنظيم تجاربه التي اعتمد عليها، وفي طريقة إجرائها، أمّا الموقف الثاني فيبدو أنّه الأقرب إلى الصواب، فقد أثبتت دراسات التحليل اللغوي المقارن وجود تأثير سلبي للغة الأولى في تعلم اللغة الأجنبية، ويظهر ذلك في الأخطاء التي يرتكبها متعلمو اللغات الأجنبية من الكبار، فمهما تمكّن الفرد من اللغة الثانية؛ فإنّه لن يستطيع أن يؤديها كما يستعملها أهلها الأصليين، فهما بلغت درجة إتقان المتعلم للغة الأجنبية (الثانية) إلا أنّها تبقى ناقصة وغير كاملة؛ لأنّها سبقت بلغة قبلها.

2/ نظرية التباين (Theory of variation): ظهرت هذه النظرية كرد فعل على النظرية السابقة، وترى أنّ: "اكتساب اللغة الأجنبية يتحدّد بصورة كبيرة بفعل الأنماط الصوتية واللغوية الخاصة باللغة الأولى التي يتمّ تعلمها (أي اللغة الأصلية)، فالتركيب والصيغ اللغوية التي تشبه تلك الموجودة في اللغة الأولى يتمّ تمثّلها وتعلّمها بسهولة، وتسمى هذه العملية بالنقل الإيجابي (Transfer positive). أمّا الصيغ والتركيب المختلفة، فإنّها تشكل عقبة في سبيل تعلم اللغة الثانية (الأجنبية)، وتسبب حدوث الأخطاء اللغوية نتيجة النقل السلبي (Transfer négative) أو التداخل بين اللغتين (Intrérence)؛ أي أنّ متعلم اللغة الأجنبية لا ينطلق في تعلمه للغة من فراغ إنّما ينقل شيئاً من لغته الأولى إلى اللغة الأجنبية، وهذا النقل يمكن أن يكون سلبياً أو إيجابياً، وقد فسّر كارل جيمس (Carl James) هذا النقل بين اللغتين قائلاً: "إنّ الذي يتعلم لغة أجنبية عندما يتكلم باللغة الأجنبية ينقل في ذهنه النص من لغته الأولى إلى اللغة الأجنبية قبل أن يبدأ في الكلام، ولا بدّ أن يترك هذا النقل أثره في اللغة الأجنبية نتيجة لقانون النقل السابق"،

ويرجع سبب هذا النقل إلى وجود نقاط تشابه واختلاف بين اللغتين، وعليها تتوقف صعوبة وسهولة نجاح المتعلم في تعلم اللغة الأجنبية، فكلما زاد الاختلاف بين اللغتين كلما زاد نسبة حدوث النقل السلبي بينهما، وازدادت صعوبات تعلم اللغة الأجنبية والعكس صحيح.

3/ نظرية تحليل الأخطاء (Errors Analysis Theory): ظهرت هذه النظرية أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، كرد فعل على نظرية التباين اللغوي، التي عجزت عن تفسير الأخطاء الخارجة عن نطاق التداخل اللغوي.

وتندرج نظرية تحليل الأخطاء ضمن حقل علم اللغة التطبيقي، وقد عدّها الباحثون الخطوة التالية للتحليل التقابلي، كونه يعتمد على التحليل التقابلي "في تصنيف الأخطاء وتحليلها وتفسير أسباب حدوثها...، ولعلّها يتكاملان في إفادة تعليم اللغات، فمنهج التقابل اللغوي افتراضي ويقتصر على التنبؤ، وعلى احتمال الوقوع في الخطأ، أمّا تحليل الأخطاء فينطلق من الخطأ ذاته"، وكما هو واضح من اسم هذه النظرية؛ فإنّ

تحليل الأخطاء "نوع من التحليل اللساني يركز على الأخطاء التي يقع فيها المتعلم، على عكس التحليل التّقابلي تكون المقارنة هنا بين الأخطاء التي يقع فيها المتعلم في إنتاج اللغة الهدف وبين صيغة اللغة الهدف نفسها"، وتؤكد هذه النظرية على أنّ الخطأ مرحلة أساسية في عملية التعلّم.

4/ نظرية الجهاز الضّابط (Control Device Theory): ظهرت هذه النظرية على يد "ستيفن كراشن" (S. Krashen)، واهتمت بالعلاقة بين التعلّم التلقائي (Spontaneous Learning) والتعلّم الموجه (Guided learning)، ويرى أصحاب هذه النظرية أنّ هناك طريقتين لتعليم اللغة الأجنبية:

1) الطريقة الأولى: وهي التي يكون فيها اكتساب اللغة لاشعوري، يقوم على استخدام اللغة في المواقف التّواصلية الحقيقية الهادفة؛ أي استخدام اللغة في تلبية الأغراض الحياتية (طبيعية)، وفي هذه الحالة يكون التّركيز منصبا على الأثر الذي سيحدثه استخدام اللغة في المجتمع والمحيط العام، وهذا النوع من التعلّم يكون من خلال العيش مع أهل اللغة الأصليين، والانغماس المباشر في بيئة اللغة الأجنبية، والاستعمال المباشر لها في مختلف المواقف الحياتية.

2) الطريقة الثانية: وهي التي تكتسب فيها اللغة بطريقة إرادية، أكاديمية ممنهجة يحكمها نظام تعليمي وبرامج تربوية معينة؛ حيث يرى أصحاب هذه الطريقة أنّ على التلميذ أن يتمكن أولا من قواعد اللغة الأجنبية، بعيدا عن التّواصل المباشر؛ لأنّ التّواصل اللغوي سيكون تحصيل حاصل؛ لأنّه يعتمد في أساسه على معرفة قواعد اللغة، وهذا النوع من التعلّم يكون في المدارس والكلّيات، وتحكمه مناهج وبرامج محددة، ويشرف عليه معلم متمكن، ويبدل فيه المتعلم جهدا كبيرا في ضبط اللغة، وتصحيح أخطائه وعلاجها.

5/ نظرية اللغة المرحلية (Interim language Theory): تؤكد هذه النظرية أنّ لكل متعلم من متعلمي اللغات الأجنبية لغة أجنبية خاصة به تسبق الوصول إلى التّمكن الكامل من اللغة الأجنبية، ويطلق على هذه اللغة المرحلية، ويطلق عليها البعض اسم اللغة البينية أو اللغة الانتقالية.

واللغة المرحلية (البينية) "مصطلح وضعه لاري سلينكر (L/Selinker) سنة 1972م وأطلقه على نظام الكفاية اللغوية لمتعلم اللغة الثانية، وهو يقوم على افتراض أنّ هذا المتعلم يطور نظاما لغويا مستقلا عن اللّغتين الأولى والثانية مع أنّه يظهر أحيانا بعض تأثيراتهما، وهو يمثل مرحلة انتقالية بين النظامين في طريق الوصول إلى التّمكن من بناء نظام اللغة الثانية" وتختلف وظائف الكلمات والتراكيب اللغوية في هذه اللغة عن اللغة الأجنبية، حيث يكون لها مقاصد أخرى عند المتعلم باختلاف أهدافه وغاياته من تعلم اللغة الأجنبية، سواء أكانت اللغة بالنسبة له أداة تواصلية في الحياة أو لغرض التدريب على اللغة من أجل الوصول إلى المزيد من التعلّم، حيث ينظر إلى تعلم اللغة الأجنبية على أنّها سلسلة من العمليات الانتقالية من مرحلة إلى أخرى تقرب الطالب من اللغة الأجنبية، وقد ساهمت هذه النظرية في ظهور منهج آخر يدعو إلى تعليم اللغة الأجنبية لأغراض محدودة وخاصة، تعتمد على اتجاهات المتعلم وأهدافه مثل: تعلم اللغة الفرنسية بغرض دراسة الطب في فرنسا.